مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

موجة غضب إيرانية ضد موسكو

أ.د صالح بن محمد الخثلان
مستشار أول
مركز الخليج للأبحاث

الانتقادات الواسعة التي وجهتها جهات وشخصيات إيرانية لروسيا احتجاجاً على ما تضمنه البيان الختامي الصادر عن منتدى التعاون العربي الروسي المنعقد في مراكش بشأن الجزر الإماراتية تكشف الإشكالية التي تواجه روسيا في موازنة علاقاتها مع إيران والدول العربية الذين تعتبرهم موسكو شريكين استراتيجيين زادت أهميتها مؤخراً نتيجة لما تواجهه من عقوبات غربية ومحاولة لمحاصرتها بعد حربها على أوكرانيا.

كثيرة هي مؤشرات النمو في علاقات موسكو بالدول العربية وبإيران، ومن أبرزها تنسيق السياسة النفطية مع الرياض ضمن أوبك+ رغم ما تتعرض له المملكة وبقية دول أوبك من ضغوط من أجل زيادة عزلة روسيا وحرمانها من أهم مصادر دخلها. مؤشر آخر لهذا التطور في العلاقات هو نمو التبادل التجاري بين روسيا والدول العربية ويكفي هنا أن نشير إلى قفزات التبادل التجاري بين روسيا ودولة الإمارات العربية المتحدة حيث وصل مستواه في ٢٠٢٣ تسعة مليار دولار، وأكثر من مليون سائح روسي، وصفقات أسلحة للجزائر قدرت قيمتها بسبعة مليارات دولار.

أما علاقات روسيا مع إيران فهي الأخرى تشهد تطوراً مستمراً ولعل أبرز ملامحه الدعم العسكري الذي تقدمه إيران لموسكو من خلال تزويدها بمئات المسيرات من طراز شاهد ١٣٦ التي كان لها آثر- حسب خبراء عسكريين- في تغيير مسار الحرب في أوكرانيا. وما يؤكد أهمية هذه المسيَرات هو اتفاق موسكو مع طهران على تصنيعها داخل روسيا؟

هذه مجرد شواهد قليلة على تطور علاقات روسيا مع شركائها العرب والإيرانيين وهو ما يقتضي تحركاً حذراً للدبلوماسية الروسية تحافظ على توازن ليس سهل. الموقف من الجزر الإيرانية ليس سوى واحد من القضايا التي يمكن أن تتسبب في إشكاليات بين موسكو وشركائها العرب وما يترتب عليه من آثار سلبية على العلاقات مع طهران، فسلوك الأخيرة في المنطقة يمكن أن يكون مصدر مستمر للتوتر مع شريكها الاستراتيجي-حسب وصف وزير الدفاع الروسي سيرجي شويغو.

سبق أن تعرضت موسكو لانتقادات من طهران بسبب قضية الجزر، إلا أن الملاحظ هذه المرة هو حدة الانتقادات وتعدد مصادرها- التي

نشرت صحيفة الشرق الأوسط بعضها- حيث جاءت من وزارة الخارجية وأعضاء البرلمان ووسائل الإعلام، ومن شخصيات تعبر عن توجهات سياسية متنوعة.

علي أكبر ولايتي مستشار المرشد الإيراني للشؤون الدولية قال إن «مواقف الخارجية الروسية مؤسفة، وتضر بمكانة موسكو». القائد السابق للحرس الثوري محسن رضائي كان أكثر حدة في تعليقه حيث حذر بأن «التدخلات غير الودية لروسيا بشأن سلامة الأراضي الإيرانية يجب ألا تتكرر»، وتضمن تعليقه إشارة غريبة لجزيرة القرم بقوله «إن الجزر الثلاث ليست القرم». الغضب الإيراني على الكرملين ظهر بشكل أوضح في تعليقات أعضاء البرلمان الإيراني، فالنائب أحمد نادري يقول منددا «هذه المرة الثانية التي يتفوه الروس بكلام أكبر من حجمهم، ويتدخلون في سلامة أراضينا، يجب عليهم أولا أن يوضحوا سبب احتلال القرم وفرض الحرب على أهل أوكرانيا». هذه الإشارات للقرم التي انتزعتها روسيا من أوكرانيا في 2014 ولحرب روسيا على أوكرانيا تعكس غضباً حقيقياً إيرانياً على موسكو.

هذه التصريحات، واخرى لا تقل عنها حدة، تعكس تفاجئ الإيرانيين من موافقة موسكو على ما تضمنه البيان حول الجزر رغم أنها ليست المرة الأولى كما أشار النائب نادري، حيث يبدو أن الايرانيين توقعوا أنهم بعد دعمهم لموسكو بمسيرات شاهد ١٣٦، التي كان لها أثر كبير في إضعاف المعنويات الأوكرانية بسبب استهدافها المنشآت الحيوية وخاصة محطات الطاقة، بأن الروس صاروا مدينين بفضل طهران عليهم في أهم صراع منذ تفكك الاتحاد السوفيتي وكجزء من رد الدين وقوفها بجانبهم وليس تبني موقف يتعلق ب «سيادة إيران ووحدة أراضيها، حسب وصف المتحدث باسم وزارة الخارجية الايرانية».

فمنذ الكشف قبل عام عن مساعدة إيران للقوات الروسية بالطائرات المسيرة حدث تحول في الإدراك الإيراني حول العلاقات مع روسيا وتحديداً في جزئية من هو الطرف الذي يحتاج الآخر بشكل أكبر. فوفقاً لهذا الإدراك فإن موسكو المتورطة في حرب قاربت دخول سنتها الثالثة، وتتعرض لعقوبات اقتصادية واسعة، وجهود غربية متواصلة لعزلها دبلوماسي هي أكثر حاجة لطهران ولذلك متوقع منها أن تتبنى مواقف مساندة لها.

موجة الانتقادات تضمنت أيضاً إشارة مهمة حول موثوقية موسكو وهي إشكالية تتكرر في الخطاب الإيراني تجاه روسيا، فقد اشتكى عضو لجنة الأمن القومي في البرلمان حسين فدا ملكي بأن «التاريخ أثبت أن الروس يتخلون عنا عند الضرورة». أحدث وقائع هذا التاريخ تتمثل في تراجع روسيا في ٢٠١٠ عن بيع صواريخ إس ٣٠٠ بعد الموافقة على الصفقة في ٢٠٠٧، وكانت حجة موسكو آنذاك التزامها بقرار مجلس الأمن رقم ١٩٢٩ بشأن حظر بيع

الأسلحة لإيران وهو ما دفع طهران إلى تقديم شكوى المحكمة الدولية للتحكيم (تمت تسوية الأمر في ٢٠١٥). مسألة الثقة في روسيا دفعت أحد الصحفيين الإيرانيين لزيارة موقع وزارة الخارجية الروسية على الشبكة العنكبوتية بحثاً عن تصريحات نسبت لوزير الخارجية سيرغي لافروف بعد أزمة بيان منتدى التعاون العربي الروسي يؤكد فيها موقف روسيا من وحدة وسلامة أراضي إيران، وقال أنه لم يجد في الموقع أي ذكر للتصريح، وفي هذا ما يدل-حسب الصحفي-على تلاعب روسي يقتضي تحركاً جاداً تجاه روسيا لتصحيح خطئها وتحذيرها من تراجع في مستوى العلاقات، وأن روسيا هي من سيعاني من ذلك وليس إيران».

هناك قلق مستمر في إيران أن الكرملين ورغم حرصه على تعزيز الشراكة مع طهران إدراكاً من موسكو لأهمية إيران إقليمياً ودولياً، إلا أنه يؤطر علاقاته معها بتحسن أو تردي علاقته مع الغرب. ولذلك شهدت العلاقات الروسية الإيرانية قفزة كبيرة منذ حرب أوكرانيا حيث يتناغم موقف الدولتين من النظام الدولي ودفعهما باتجاه تحوله نحو التعددية.

وهنا تبدو إشكالية موقع الطرف الثالث في العلاقات الثنائية وهي إشكالية لا تعانيها إيران فقط، بل تواجه غيرها من الدول وتتمثل في الاستحقاقات المتوقعة من العلاقات الثنائية تجاه العلاقات مع أطراف أخرى. وزير الخارجية الإيراني السابق محمد جواد ظريف استغرب موجة الانتقادات لروسيا ونظر اليها كدليل على وجود مشكلة في إدراك المسؤولين والنخب الإيرانية للعلاقات الدولية وتعقيداتها. يقول ظريف «نخطئ إذا اعتقدنا أن روسيا أو الصين ستُعرض مصالحها مع الدول العربية للخطر من أجلنا» ويوجه رسالة للمنتقدين لروسيا بأن «عالم ما بعد الحرب الباردة عالم مختلف، وسنرتكب أخطأ في توقعاتنا وحساباتنا».

وكعادة الأحداث الدبلوماسية ستتجاوز طهران وموسكو أزمة بيان مراكش وتستمران في التنسيق الثنائي والمتعدد من خلال شراكتهم في منظمة شنغهاي وبريكس بعد انضمام إيران الأسبوع القادم، وأيضاً من خلال اتفاقية التجارة الحرة بين إيران والاتحاد الاقتصادي الأوراسي الذي تقوده روسيا، إلا أن الدورة السابعة لمنتدى التعاون العربي الروسي التي ستنعقد العام القادم في موسكو ستكشف لنا تأثير موجة الغضب في كيفية تعامل موسكو مع بند الجزر الإماراتية في البيان الختامي الذي سيصدر عن المنتدى.

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.grc.net